

هل اللغة العربية صعبة ؟ كيف يمكن تيسيرها ؟

للاستاذة رشاد دارغوث
- بيروت -

فاستبدلت بها لغاتها الاصلية . وذلك بالإضافة الى كونها لغة القرآن .
وليس ادل على تلك الحيوية المرنة ، من تقبلها الاشتقاق ، على اوسع نطاق ، يمكن ان ترسخ له اللغات . (اطلب كتاب الاشتقاق والتعريب ، للعلامة « المغربي » (1) .)

ولنذكر هنا ان اللغات السامية الشقيقة للفتسا قد انقرضت ، منذ مئات السنين ، باستثناء العبرانية. كما انقرضت معاصراتها من اللغات الآرية ، كاللاتينية وسواها .

كما يحسن ان نذكر ، على هامش التيسير والشواذ التي توفرت في اللغة العربية ، ان اكثر علماء اللغة كانوا من غير العرب ، حتى في عصور الازدهار الاولى . ولهذا الواقع التاريخي دلالاته الخاصة ، وآثاره الملموسة في ما وصلت اليه قواعد اللغة ، من تعقد بعد البساطة .

خطوات اولى للتيسير

1 - وقد يسر الاولون القراءة ، بتشكيل الحروف ، اي بوضع الحركات المعروفة عليها (الفتحة والضمة والكسرة) . ويرجع الفضل في ذلك الى ابي الاسود الدؤلي ، الذي كان يعمل ، بتوجيه الامام علي ، على وضع قواعد اللغة الاساسية . فكانت هذه الخطوة موفقة كل التوفيق ، اذ يسرت القراءة والنهم معا على القارئ ، كما يسرت وتيسر حفظ

(1) اجمع على القول بصعوبة اللغة العربية دارسوها وخاصة الاجانب ، سواء كانوا مستشرقين او ديبلوماسيين . حتى كاد ترديد هذا الكلام المرسل يلبسه ثوب الحقيقة . ولاسيما ان الطرق والاساليب المتبعة ، حتى الآن ، في تدريس لغتنا ، للمبتدئين ولسواهم ، لم تتطور بالقدر الكافي . كما ان الكتب الموضوعية لذلك الغرض ، لم تستوف الشروط التربوية والسيكولوجية (النفسية) التي اهتدى اليها الاختصاصيون .

ب - والامر الذي لا شك فيه ، هو ان اللغة العربية ، في اوضاعها الراهنة ، وما تراكب على قواعدها من بقايا الثقافات التي احتضنتها ، ليست هذه اللغة العريقة من اللغات السهلة ، سواء في دراستها ، نحوا وصرفا ، او في كتابة حروفها ، او قراءة تلك الحروف .

ولئن كانت هذه اللغة ، في الاصل ، لغة منطقية ، وبالتالي سهلة التداول ، فهي ، بما اجتمع لها من القيود ، في مدى تاريخها الطويل ، بتأثير الشعوب المنوعة التي اعتنقتها ، قد صارت الى ما صارت اليه اللغة اللاتينية ، قبل ان تنقرض ، وينبثق عنها فروعا الحديثة (الفرنسية والاطالية والاسبانية) .

ج - وما حفظ اللغة العربية وصانها من الانتراض سوى الحيوية التي امتازت بها ، وهي التي حيينها الى شتى الشعوب والامم المستعمرة ،

(1) المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

هـ — ولابد من القول ، بأن بعض الفضل ، في ذلك ، يرجع الى التلاتح الحاصل بين أساليب لغتنا العربية ، وأساليب اللغات الأجنبية ، التي تعلمناها وأتقناها .

وهو تلاتح تم مثله في العهد العباسي ، بين هذه اللغة واللغات الأخرى (الفارسية ، والرومية ، والسريانية وسواها) . فجننت لغتنا من ذلك التلاتح ، في الماضي والحاضر ، اظيب الثمرات .

بقيت الحروف العربية نفسها ، وومسرة اشكالها المطبعية ، فهي بين حروف « الاول » وحروف « الوسط » وحروف « الآخر » ، والحروف المنفصلة ، تتضاعف عددا . في حين أنها لا تتجاوز في الاصل ، السبعة والعشرين . وهو أمر يعوق ازدهار الطباعة ، ورواج الكتاب العربي .

و — الا ان الطول التي عرضت ، حتى الآن ، لهذه المعضلة ، لم تكن عملية . سواء منها الاقتراح القاضي باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، أو وضع حروف جديدة لا تمت الى الحروف القديمة بصلة ، أو الاكتفاء بشكل واحد ، من اشكال الحروف الحالية ، لكتابتها به باستمرار .

فأي من هذه الاقتراحات ، اذا أخذنا به ، يتود بالنتيجة الى طفرة ، لا تحمد عواقبها ، ولا قبل للشعوب العربية بتحملها ، وهي في مستواها الراهن ، اجتماعيا ، واقتصاديا ، وثقافيا .

فضلا عن ان الاخذ بتلك المقترحات ، أو بأحدها امر يخرج عن مدى امكان هذه الشعوب ، لان الحروف العربية مرحلة من تطور (الابجدية) ، من جهة ، ولأنها حروف يكتب بها غير العرب لغاتهم ، من جهة ثانية .

وقد جاء اقتراح الامير آغا خان ، أخيرا في المؤتمر الإسلامي المنعقد في كراشي (شباط 1951) باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية ، في البلاد الإسلامية الى جانب لغاتها القومية ، دليلا على صحة ما نذهب اليه .

المفردات والتراكيب العربية ، على وجهها الصحيح ، وتساعد على النطق بها سليمة من الرصانة الشائعة ب — وكان أعجاب الحروف ، أي تنقيط الحروف المتشابهة (كالباء والتاء والثاء ، وما إليها) الخطوة التالية لتيسير القراءة وضبط الكتابة . وقد تم ذلك في العهد الأموي ، في خلافة عبد الملك بن مروان ، يوم اعترم تعزيز اللغة العربية ، فجعلها لغة الدواوين ، أي لغة الدولة الرسمية .

وقد كانت الحروف الكوفية الشائعة الاستعمال ، لا تعرف — ولا سيما المتشابهة منها — الا من سياق الكلام . « فباب » مثلا كانت تقرا كذلك ، كما تقرا تاب ، أو ناب ، أو بات أو تاب ...

ج — وجاء التوقيف ، أو استعمال علامات الوقف ، حينما دون القرآن ، خطوة ثالثة لتيسير القراءة . واتنا لنجد في المصاحف ، الموجودة بين ايدينا ، أولى المحاولات لاستعمال علامات الوقف ، وان كان المترئون مجمعين على القول بأنه « ليس في القرآن من وقف وجب » .

د — وللبنانيين ، على مر العصور ، سبق في هذا الصعيد ، لابد من الاشارة اليه . ففي العهد اللغتي ، اتحفوا العالم بحروف الهجاء ، وهي أعظم نتاج تمخض عنه العقل البشري . فجاجت تلك الحروف الصوتية المعودة ، بعد الحروف الهيروغليفية والمسارية الكثيرة ، دليلا على ما يهدف اليه الفكر الانساني المتطور ، في وسائل التعبير عن ذاته ، من اقتضاب ، ويسر ، وبساطة .

وفي العهد العربي عمل اللبنايون ، ثم تابعهم المصريون والسوريون وسواهم ، على طبع هذه اللغة بالطابع الحضاري ، وتيسير الفهم بها ، بعد تيسير اساليب التعبير . ويكفي أن نذكر النهضة الادبية ، التي بعثها مفكروننا في مصر ، وفي الامريكيتين ، لنسجل فضل لبنان العميم على هذه اللغة ، في الوطن وفي المهاجر . حتى صار اللسان العربي ، في الكتاب الحديث ، كما نعمده الآن ، مستساغ الالوان حلو الجرس ، من السياق ، جميل الاسلوب . وبات بإمكان القارئ أن يتابع المطالعة ، دون توقف عند كل خطوة ، أو رجوع الى المعجم في كل جملة .

خطوات تالية لإبد منها

1 - لابد من خطوات أخرى نتخذها ، لتيسير اللغة العربية ، ولكن بصورة تدريجية . واننا سنلخص ما نرى امكان الاخذ به ، في الوقت الحاضر ، بسبيل ادراك تلك الغاية ، على الوجه التالي :

ب - يتحتم علينا الإبقاء على الحروف العربية ، بأشكالها الراهنة . على أن نضيف إليها بعض الاصطلاحات التي تمكنا من تصوير الاصوات المعروفة ، في اللغات الأجنبية : مثل حرف U الفرنسي ، و P وسواهما .

وقد جرى الكتاب على استعمال الباء ، بثلاث نقط ، لتصوير الصوت الثاني . ونقترح نحن استعمال الواو ، تعلوها نقطة ، لتصوير الصوت الاول .

ج - ولابد لنا من تشكيل الحروف ، اي وضع علامات الاعراب عليها ، بسبيل تسهيل القراءة وضبط الكتابة واللفظ . لا فرق في ذلك بين الكتب المدرسية الموضوعية للبتدئين ، وبين كتب المطالعة التي تنشر للمتقنين ، وبين الصحف والمجلات وسواها ، من المنشورات الدورية .

فقد حمل الاولين ، على وضع هذه العلامات ، حرصهم على سلامة اللغة ، من رطانة الاعاجم . ونحن ، على الرغم من الفارق الزمني ، نجد أن ذلك الباعث لم يبرح قائما . فما علينا الا أن نعيد الكلمات بالحركات ، فنحفظها صحيحة من جهة ، ثم نقرأها ببسر وسهولة من جهة ثانية .

د - ولكن كيف نحرك الحروف ؟

منذ نحو عشرين سنة ، طبقنا القواعد التالية ، في جميع الكتب التي ألفناها ، او اشتركنا في تأليفها :

(1) نحذف العلامة المعروفة (بالسكون) حيثما وردت هذه العلامة التي يغنيها عنها عدم وجودها . ونصطلح على أن غياب الحركة معناه وجود (السكون) وهكذا نخفف ريع الحركات ، على اقل تعديل ، في ضبط الكتابة .

(2) نستغني عن تحريك الحرف الذي نقف

عنده ، فلا حركة اذن حين الوقف ، عملا بالمصطلح العام ، لدى علماء التجويد .

وهذه القاعدة تخفف جزءا غير يسير من الحركات التي لا لزوم لها ، ما دمت لا تلفظ بحركة الحرف الذي نقف عنده .

(3) نحذف الحركات قبل حروف المد . وهي ثلاثة : الالف والواو والياء . أما اذا كان الحرفان الاولان للقطع ، فاننا نقرن الحرف الذي يسبقهما بالحركة اللازمة .

ومثال ذلك : (باب ، ونور ، وطيب) . فالالف والواو والياء ، في هذه الالفاظ ، حروف مد ، تغني عن الفتحة على الباء ، والضمة على النون ، والكسرة على الطاء . أما في هاتين الكلمتين : « ثوب وطير » فلا بد من وضع الفتحة على كل من التاء والطاء ، لان الواو والياء فيهما هما حرفا قطع ، لا حرفا مد .

ومن السهل ادراك الصعوبات التي نتفادها بلجوئنا الى تطبيق هذه القاعدة .

(4) لا لزوم للعلامة الخاصة الدالة على همزة الوصل (ا) اذ ان همزة القطع وحدها هي التي ترسبها على الالف ، حين الكتابة .

(5) لا لزوم للفتحة قبل تاء التانيث ، سواء كان ذلك في الاسم او في الفعل . ومثال ذلك لفظنا : كتابة ، وشريت . ففي الحالتين يحتم وجود هذه التاء فتح الحرف الذي يسبقها .

(6) لا لزوم للشدة على الحروف الشمسية . ومثال ذلك : الصورة ، الشمس . ان وضع الشدة على الصاد أو الشين ، كما جرت العادة ، لا مبرر له ، لان اللفظتين ليستا من الكلمات المضاعفة ، مثل «هد او شدد» التي تستلزم هذه العلامة .

(7) نظهر الالف المضمرة ، وسواها من الحروف المتروكة ، في مثل « هذا ، وذلك ورحمن » وسواها من الالفاظ شائعة ، فنستغني عن بعض الصعوبات . وعلى هذا نكتب هذه الكلمات كما تلفظ ، دون زيادة ولا نقصان : هاذا ، وذلك ورحمان ، وسواها .

(9) كتابة الهمزة ، وهي ، من أعتد مشكلات الكتابة العربية . ويكفي أن نعلم أن أكثر الإبداء . والصحفيين يخطئون في تصويرها ، في كثير من المواضع . كما أن الاجتهادات في بعض قواعدهما المعتدة ، تختلف بين قطر ومطر ، وبلد وبلد .

ومن رأينا أن نوحدها اشكالها : فنجعلها بكرسي الالف ، في بدء الكلمة وفي وسطها ، ودون كرسى في ما عدا ذلك .

(10) وعلى ذكر التوحيد ، لابد من الإشارة الى الفوارق التي نشاهدها في رسم بعض الحروف ، في هذا البلد أو ذاك ، من بلاد العربية . فبينما نرسم نحن في لبنان ، حرف الياء معجا أي مع النقطتين ، هكذا (ي) ، يرسمه اخواننا المصريون مهلا أي دون تنقيط هكذا (ى) . أي انهم يرسمونه شبيها بالالف المقصورة عندنا . وهكذا يقع القارىء في الالتباس ، كلما شاهد هذه اللفظة مثلا (أري) ، مكتوبة على الطريقة المصرية . فهل هي (أري) ، للمتكلم بصيغة المضارع أم (أري) للمخاطبة ، بصيغة الامر !

ومثل هذا كثير ، في رسم الحروف ، في مختلف البلاد العربية .

(هـ) هذه الطرق التي طبقتها ، فانت بأفضل النتائج ، وسواها مما نحتفظ بتفصيلاته ، الى قرصة ثانية ، يمكننا فيها ان نسهب في ما أجملنا عليه القول ، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القارىء . كما انها توفر للمطالع جزءا غير يسير من قوة الانتباه ، فيصرفه الى تفهم المعنى في النص الذي يطالعه . فضلا عما توفره من جهود عامل الطبعة ، ووقته . وبالتالي تساهم هذه الطرق ، متى طبقت بصورة اجماعية ، في ازدهار الطباعة ، وتيسير التعليم ، وشيوع الثقافة بترويج الكتاب العربي ، الذي يشكو الكساد ، حتى في أوساط المثقفين .

كما نكتب داوود بالواوين ، (ومئة) على هذه الصورة بالذات ، وعمر دون واو . وفيما وما وعلام ، وسواها دون اتصال او ادغام أو حذف .

وهكذا نكتب سواها من الكلمات الكثيرة ، التي اعتدنا أن نكتبها على غير الصورة التي تلفظ بها ، أو الصورة التي كانت عليها قبلا . وهي بمجموعها تؤلف إحدى الصعوبات التي تعترض سبيل دارسي اللغة العربية .

والواقع أنه ليس من مبرر للاستمرار على الاخذ بهذه الشواذ ، أو الاخطاء المتوارثة ، بعد أن تحللت لغتنا من أمثالها في العصور السابقة (لنذكر كتابة القرآن ، وفيها من ذلك ما يعلله العلماء بالقول : ان كتابة القرآن لا يقاس عليها) .

فنحن أحوج الى التحرر من تلك الاعباء ، ولاسيما في عصر العلم والمادة والسرعة الذي نعيش فيه .

(8) ومن هذا القبيل تجنب الالفاظ المشتركة أو التي تقبل الإبهام . ومثال ذلك لفظة : « الرز » فهي تحتمل أن تكون للدلالة على الحبوب المعروفة ، والمسماة كذلك « الرز » ، كما يمكن أن تدل على الشجر المعروف ، والذي اتخذ لبنان شعارا له .

لذلك نعمد الى تخصيص لفظة « الرز » بالغلل الزراعية المذكورة ، ونترك اللفظة الأخرى للدلالة على الشجر المشار اليه .

هذه الالفاظ كثيرة في اللغة العربية . وأكثر منها المترادفات ، التي لا يمكن أن تكون للدلالة على معنى واحد . بل هي ، في الأصل ، نعوت تدل على حالات معينة . فيحسن بنا أن نضربها الى وجوهها التي تصلح لها . وحينئذ نتجنب صعوبة أخرى ، صارت من الأدلة على فقر اللغة العربية ، بعد أن كانت من مظاهر غناها ، ونعني وفرة الأسماء لبعض المدلولات ، كالسيف ، والناقة ، والأسد وسواها ، وانعدام الأسماء لكثير من المسميات القديمة والحديثة ، على حد سواء .

كتبنا المطبوعة ، وفي هذه الرسالة ، وشرحناها فيها
مر بامتنان ، وذلك على سبيل المقارنة :

الطريقة الجريئة

هذه الطرق التي
طبقتها، فأتت بأفضل النتائج،
وسواها مما تحفظ بتفصيلاته،
إلى فرصة ثانية، يمكننا فيها
أن نسهب في ما أجمنا عليه
القول، هي وسائل صالحة
للتخفيف عن بصير القاري..
كما إنها توفر للمطالع جزءاً
غير يسير من قوة الانتباه،
فيصرفه إلى تفهم المعنى في
النص الذي يطالعه. فضلاً عما
توفره من جهود عامل
الطبعة، ووقته. وبالتالي
تساهم هذه الطرق، متى
طبقت بصورة إجماعية، في
ازدهار الطباعة، وتيسير
التعليم، وشيوع الثقافة،
بترويج الكتاب العربي،
الذي يشكو الكساد، حتى
في أوساط المثقفين.

و — واننا نورد فيما يلي الفقرة السابقة ،
مضبوطة بالحركات ، وفاتنا للطريقة القديمة ، والى
جانبها النص نفسه مشكولاً بالطريقة التي اتبعناها في

الطريقة القديمة

هذه الطرق التي طبقتها،
فأتت بأفضل النتائج،
وسواها مما تحفظ بتفصيلاته،
إلى فرصة ثانية، يمكننا فيها
أن نسهب في ما أجمنا عليه
القول، هي وسائل صالحة
للتخفيف عن بصير القاري..
كما إنها توفر للمطالع جزءاً
غير يسير من قوة الانتباه،
فيصرفه إلى تفهم المعنى
في النص الذي يطالعه.
فضلاً عما توفره من جهود
عامل الطبعة، ووقته.
وبالتالي تساهم هذه الطرق،
متى طبقت بصورة إجماعية،
في ازدهار الطباعة، وتيسير
التعليم، وشيوع الثقافة،
بترويج الكتاب العربي،
الذي يشكو الكساد، حتى
في أوساط المثقفين.

علامات الوقف

1 - يضاف الى ما تقدم علامات الوقف الشائعة في الكتابة ، لدى الامم الغربية . وقد شمر العرب بالاقدمون بالحاجة الى مثلها ، في تلاوة القرآن الكريم ، فاصطلحوا على علامات للوقف ، نجدها في المصاحف ، كما سبق القول ، وان كانوا قد اصطلحوا ايضا على انه ليس في القرآن من وقف وجب .

هذه العلامات تيسر القراءة العربية تيسيرا محسوسا ، كما تقرب النصوص المقرؤة من الافهام.

وقد اخترنا ذلك في كتبنا المنشورة ، المدرسية منها والادبية . فأتى بأفضل النتائج . وان كان أحد النقاد قد عد ذلك ، في رواية « خطبة الشيخ » المنشورة عام 1938 - خطبة لا تغتفر .

كما نشرنا بحثا مستفيضا حول هذا الموضوع ، وضرورة جعل تلك العلامات جزءا من الكتابة العربية ، في « مجلة التعليم » الصادرة بالفرنسية ، عن مديرية المعارف العامة ، في المفوضية الفرنسية عام 1928 .

هذه العلامات ، من الفاصلة الى النقطة ، ومن علامة التعجب الى علامة الاستفهام ، ومن المعترضين الى القوسين .. كلها وسائل لتيسير القراءة ، وتيسير الفهم . فضلا عما تكسبه الكتابة العربية من مظهر فني في الاخراج ، لا نجده في الكتب التي تخلو من تلك العلامات ، او يقتصر فيها على بعضها الشائع ، حتى في الصحف اليومية .

ب - وفيما يلي نموذجان للمقارنة ، نختارهما من « مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق » .

فقد ورد في كتاب « تاريخ الحكماء » (1) - الصفحة 56 الفقرة التالية :

«فقال الامير نوح بن منصور الرئيسي ابو علي الاذن له في دخول دار له فيها بيوت الكتب فنال الايجاب

نطالع من جبلتها فهرست كتب الاوائل وطلب مسا احتاج اليه فرأى من الكتب ما لم يقرع اسماع الناس اسمه لابي نصر الغارابي وغيره . فقرأ تلك الكتب وظفر بنوائدها وعرف مرتبة كل رجل في علمه من المتقدمين » .

وورد في « ديوان ابن عنين » (2) - في الصفحة 6 وما يليها - من قصيدة مدح بها الشاعر الملك العادل :

« ملك اذا خفت حجوم ذوي النهي
في الروع زاد رزانة وتوقرا
ثبت الجنان ترعاع من وثباته
يوم الوغى وثباته أسد الشرى
يقظ يكاد يقول عما في غد
بيديه اغنته ان يتفكرا
حلم تخف له الجبال وراءه
عزم ورأي يحقر الاسكندرا
يمنو عن الذنب العظيم تكربا
ويصد عن قول الخنا متكبرا »

ففي تلك الفقرة النثرية « نقطتان » فحسب من علامات الوقف ، وفي هذا المقطع الشعري ، لا أثر لتلك العلامات على الاطلاق .

ج - واذا نحن نشرنا ، فيما يلي ، تلك الفقرة النثرية مضبوطة بعلامات الوقف ، على الطريقة التي نقتربها ، أمكن للمطالع ادراك معانيها ، دون عناء ، ولو اغفلنا ، كما فعل الناشر ، حركات الاعراب .

كما ان هذا المقطع الشعري ، اذا نشرناه مقرونا بعلامات الوقف ، صار أوضح معنى ، وساهمنا ، الى حد ، في ابراز الصورة العامة التي اراد الشاعر ان يعطيها لملك عظيم ، صورة تشبه لوحة زيتية متجانسة الالوان ، وان كانت الوانها ، في الاصل ، شتى متنافرة .

(1) عني بنشره وتحقيقه . المرجوم الاستاذ محمد كرد علي .
(2) عني بنشره وتحقيقه الاستاذ المرجوم خليل مردم بك .

وفيما يلي الفترة والمقطع ، مقرونين بعلامات الوقف ، وبالحركات على طريقتنا المقترحة .

١ - « قَالَ الْأَمِيرُ تَوْحُّ بْنُ مَنصُورٍ ، الرَّئِيسُ أَبُو عَلِيٍّ ،
الْأَذْنَ تَهْ فِي دُخُولِ دَارِهِ لَهُ ، فِيهَا بُيُوتُ الْكُتُبِ
فَقَالَ الْإِيْجَابُ . فَطَالَعَ ، مِنْ جُلَّتْهَا ، فَبَرَسَتْ كَتَبِ
الْأَوَائِلِ ، وَطَلَبَ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ . فَرَأَى مِنْ الْكُتُبِ مَا لَمْ
يَقْرَعُ أَسْلَعُ النَّاسَ اسْمُهُ ، لِأَنَّهُ نَصَرَ الْفَارَابِيَّ ، وَغَيْرِهِ . فَقَرَأَ
تِلْكَ الْكُتُبَ ، وَظَفَرَ بِفَوَائِدِهَا . وَعَرَفَ مَرْبِئَةَ كُلِّ رَجُلٍ ،
فِي عَلَيْهِ ، مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ .

٢ - « مَلِكٌ ، إِذَا خَفَتْ حُلُومُ ذُرِّي النَّهْيِ ،

فِي الرَّوْعِ ، زَادَ رِزَانَةً ، وَتَوَقَّرَا
تَبَتْ الْجَنَانِ ، تُرَاعُ مِنْ وَتَبَاتِهِ
يَوْمَ الْوَعْيِ ، وَتَبَاتِهِ ، أَسَدُ الشَّرِيِّ .
يَقِظُ ، يَكَادُ يَقُولُ عَمَّا فِي عِدَا
بِدَيْهِمَ أَغْتَهُ أَنْ يَتَفَكَّرَا .
حُلْمٌ تَخِفُ لَهُ الْجِبَالُ ، وَرَاءَهُ
عَزْمٌ ، وَرَأْيُ تَجَمُّرِ الْإِسْكَندَرَا
يَعْنُو عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ ، تَكَرَّمَا
وَيَصُدُّ عَنِ قَوْلِ الْخَنَا ، مُتَكَبَّرَا .

وسائل ايجابية وسلبية

١ - هذه القواعد التي أوجزنا الكلام عليها ، تهدف الى ضبط الكتابة العربية ، وتيسيرها معا ، كما تهدف الى تسهيل القراءة والفهم . وقد ثبتت لدينا فائدتها ، بعد تطبيقها عمليا ، منذ عشرين سنة ونيف .

وهي كما يبدو وسائل ايجابية ، تساهل النزعة التطورية ، دون تهديم ، أو تنكسر لماض عظيم ، وتساقق اتجاه الفكر ، لدى الشعوب العربية ، التي تمقت الطفريات ، ولا تستسيغ الثورات ، كما لا ترتضي أن يقوم بينها وبين ماضيها أي حجاب .

وفي تطبيق هذه القواعد ، نسير بلغتنا الى الامام . ونتم ما بدأ به الالون ، في مطلع النهضة العربية ، إذ شكلت الحروف بالحركات ، خشية

الرطانة الشائعة اليوم ، حتى بين المثقفين ، ثم اعجمت الحروف المتشابهة ، باضافة التنقيط عليها .

ب - ولكن لا بد لنا من أن نضيف الى ما ذكرنا ، من وسائل التيسير الايجابية ، وسيلة « سلبية » - اذا صح التعبير - وهي الوسيلة التي تلجأ اليها الام مع طفلها ، والمعلم مع تلميذه والصحفي اللبق مع قرائه ، والاديب الموهوب مع المطالعين من عامة المثقفين . ونعني الامتناع عن « الاغراب » ، في اللفظ وفي المعنى .

هذا الاغراب نوعان : اغراب في المفردات ، واغراب في التركيب . والمهم هو الابتعاد عن النوع الثاني . لان اللفظة مهما بعد مدلولها عن مصطلح الناس ، تجد الى افهامهم سبيلا ، ولاسيما اذا كانت تدل على المحسوسات .

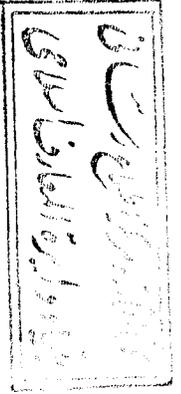
نحن نجد الكلام ، باللغات الاجنبية ايسر فهمها ، منه باللغة العربية . كما نجد انفسنا اسرع ادراكا لما يقال بتلك اللغات . ويرجع ذلك ، في رأينا ، الى ان الاغراب في التركيب ، في تلك اللغات ، لا وجود له الا نادرا . فالفعل يتبعه الفاعل ، ثم ما يتم المعنى . اما في اللغة العربية ، فاساليب البيان والبلاغة متنوعة ، حتى يكاد يطفى المبني ، على المعنى ، والمظهر على الحقيقة ، في كل ما يقال ويكتب بهذه اللفظة .

فيحسن بالكاتب العربي أن يعلم هذه الحقيقة الاولية . وهي ان تلك الاساليب البيانية ليست كلها في متناول عملة القراء . فلتطبق للاختصاصيين ، وللتباري بالفصاحة وآيات الاعجاز ، في المجالات الصالحة لتلك المباراة .

ب - حينئذ ، ومتى لجأ الكاتب الى الاسلوب الملائم ، انتفى اساس الزعم القائل بصعوبة اللفظة العربية ، وخاصة ذلك القول الشائع بان على قارئ اللغة العربية أن يفهم كي يقرأ ، بينما يقرأ الناس في لغاتهم كسي يفهموا !

وبالاسلوب الملائم نعني الاسلوب البسيط ، أي الاسلوب الذي لا تنفسه الجوازات والشواذ ، ولا تثقله الاستطرادات والتحشيات .

واكرر القول بأن العدول عن الاخذ بتلك الاساليب ، التي تبقى للاختصاصيين ، لا يعني اسقاطها أو ابطال ما لها في النفوس من سحر . بل يعني أننا نتركها لعلماء اللغة ، وجهابذة البيان . إذ ليس مفروضا في كل قارئ أو متعلم مبتدئ ، أن يكون سيئويه زمانه ، أو عضوا في مجمع لغوي .



الخلاصة

١ - ان تيسير الكتابة والقراءة ، باللغة العربية ، من الاغراض التي يجب ان نهدف اليها ، لا اقرارا بالقول بصعوبة هذه اللغة ، بل سيرا مع سنن التطور .

ولما كانت الحروف المطبعية الحالية غير كافية ، فان اضافة بعض الحروف الجديدة ، المنبثقة عن الاشكال المعروفة ، ضروري ، لرسم الاصوات التي لا عهد للعرب بها ، مثل حرف U الفرنسي ، و P وسواهما .

ب - والحروف العربية نوعان : منفصلة ، ومتصلة . اما المنفصلة ، وعددها احد عشر ، فهي : ا ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ة ، و ، لا ، ي . وفي اعتقادي انه يمكن ابقاؤها على حالها .

واما المتصلة ، وعددها تسعة عشر . وهي : (ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن) ، فيحسن توحيد شكلها الطبيعي ، حيثماوردت . ولا فرق بين ان يكون شكلها الموحد هو شكلها في اول الكلمة ، او في آخرها . وحينئذ تصيب جميع الحروف منفصلة . وهذا ممكن .

ج - يضاف الى ذلك وجوب استعمال الحركات ، وعلامات الوقف ، على اعتبارها جزءا متما للحروف والكلام .

د - وفي اعتقادي ان اشكال الحروف العربية الثلاثين ، الآنف ذكرها ، والحركات الاربعة المطلوب استعمالها (الفتحة والضمة والكسرة والشدة) ليست اوفر عددا ، ولا اصعب استعمالا ، في الكتابة والطباعة ، من امثالها ، في اللغات الاجنبية .

ولاسيما اذا اعتبرنا ان تلك اللغات تستعمل الحروف اللاتينية ، بشكليها : العادي والكبير (ماجسكول ، كابتال) وتصور تلك الحروف في الكتابة ، على صور تختلف عن صورها المطبعية . وحينئذ تسلم اللغة العربية ميزة حروفها ، التي لا تشاركها فيها حروف ، ونعني صلاحها للاختزال حين الكتابة . وفي الواقع ، فان حروف الكتابة العربية ، كما وصلت الينا في خطوطها المختلفة ، حروف اختزال .

فاذا اصطلحنا على استعمال حروف « الاول » او حروف « الآخر » للطباعة ، تيسيرا لعمل المنضدين الطباعي ، وترويجا للكتاب العربي ، وبالتالي خدمة للفكر وللعلم ، في اوساط الشعوب التي تتكلم هذه اللغة - فيجب ان نحصر ، في الوقت نفسه ، على الابتداء على حروف الكتابة ، باشكالها الفنية التي تطورت اليها . فصارت اللفاظ الجامدة قطعا من الفن الحسي .

وفيما يلي ، نورد الفقرة الاخيرة ، مطبوعة بحروف منفصلة ، على سبيل المثال :

وحيث نذ تسلم للغة العربية ميزة حروفها ، التي لا تشاركها فيها حروف ، ونعني صلاحها للاختزال حين الكتابة : وفي الواقع ، فان حروف الكتابة العربية ، كما وصلت الينا في خطوطها المختلفة ، حروف اختزال .

كما نورد الجملة الاخيرة ، من الفقرة السابقة ، مكتوبة بالخط النسخي ، دون زوائد يحشرها الخطاطون عادة للزينة ، فتجيء لتعقيد الخط العربي وتشويهه ، في اعتقادنا :

يَجِبُ أَنْ نَحْرِصَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ عَلَى الْأَبْقَاءِ عَلَى حُرُوفِ الْكِتَابَةِ بِأَشْكَالِهَا الْفَنِّيَّةِ ،

الَّتِي تَطَوَّرَتْ أَلَيْهَا ، فَصَارَتْ الْأَلْفَاظُ الْجَامِدَةُ قِطْعًا مِنَ الْفَنِ الْمَجِيِّ

اللائق بها ، في مجموعة الامم الواعية الحرة !

واننا نسال الله في الختام ، ان يهدينا الى ما يفيد بلادنا ، وينهض بالشعوب العربية ، الى المكان